الأنوار السنية
في تاريخ الحياة التجانية

قصيدة

تأليف
الفقير إلى ربه
محمد الشافعي الشريفي النفطي

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد حمد الله جل جلاله

و تقدست كماله

و الصلاة و السلام على أفضل أنبيائه

و على آله و أحبابه و أصفيائه.

أذكر أني كنت حظيت أثناء رحلتي للديار الفاسية بزيارة الروضة المقدسة التي غربت فيها شمس الحقيقة الأحمدية التجانية، و أسعدني حسن التعلق بروحه الكريمة و التمسك بطريقته القويمة بالإقامة بها أشهر قمريه أعدها من أنْفَسِ سلسلة عمري الذهبيه ، حيث كنت أتمتع فيها بتجليات أنواره و أستمد من بحور أسراره، و كنت أثناء تلك الأشهر المباركة أرخيت عنان قلمي في صحائف تاريخ حياة شيخنا القطب المكتوم و الختم الأكبر المعلوم قد بج في تاريخ حياته عبارات مسجعة ما بين مطرفة و متوازية و مرصعه ، و هي في التعريف بفضائله للمريد كافية لمن يتلهف الوقوف على خصائصه شافية جمعتُها في رسالة لطيفةٍ تكتب بأملَق لبصر.

ثم اتفق أن ضمني مجلس حافل بنخبة من علماء فاس و محدثيها استطرد فيه ذكر شيخنا الخاتم الأكبر بما أناه الله من المقامات العلية و الخصائص السامية،فانحنى عليه بعض من في قلوبهم حرج من شفوف رتبته بالإنكار متكلفا تأويل آيات الله في المُحكمَةِ و المُتشابِهة و ما لم يعلم تأويله إلا الله و الراسخون في العلم ، و قد دَحَضتُ شُبُهاتِهِ و رددت عليه تأويلاته و ألزمته الإعتراف بالحجج الساطعة و الإنابة بالبراهين القاطعة، فأظهر الإعتراف بلسانه و الله يعلم ما في جنابه.

ثم لما عدت من ذلك المجلس إلى الروضة الأحمدية و جلست مقابلا لقبره الأقدس الذي ضم جسده الأنفس، سنح لي نظم قصيدة جامعة لأهم النَفَائِس سلسلة حياتِهِ الشمسية و نزرٌ من فضائله و خصائصه الوهبية، و الرد على المنكرين عليه مواهبه و كمالاته.

فشرعت فيها و أنا استمدها من روحه الطاهرة ذات الفيوضات الزاخرة فجاءت بحمد الله عيونًا ناضرة و أنوارًا باهرة.
و قد سميتها " ـ بالأنوار السنيه في تاريخ الحياة التجانية ـ " و السيوف الربانية في قطع أعناق المتطاولين إلى إنكار خصائصه الصمدانيه ثم وزعتها على كثير من الأحباب غير أنها لم تنشر بين الأحباب انتشارًا خصوصيًا فضلاً عن العمومي لحد الآن.

و قد اطلع عليها بعض فضلاء الطريقة و خاصتها فوقت منه موقع الإعجاب و اقترح علي طبعها ليتسنى نشرها بين الأحباب فما وسعني إلا إجابة رغبته حرصا على إرادة الخير بها لعموم الأحباب.
فإلى جميع الأحباب أقدمها هدية و أرجو منهم الدعاء الصالح عند إنشادها و الله أسأل أن يميتنا و إياهم على محبة الشيخ و أتباعه و أن يحشرنا و إياهم في زمرته و يجعلنا من جواره في عليين.

محمد الشافعي الشريفي النفطي

بسم الله الرحمن الرحيم

كيف تعلو علوك الأوليـــــــاء ... يا وليا له السمـــــــاء وطاء
و كذا العرش موطئ لك يا من ... قصرت عن رقيك الأصفياء
كل نور في الكون منك مضيء ... يا إماما مأموه الأوليـــــاء
أنت شمس و هم نجـــوم تجلت ... في ظلام الدجى لهن سنـــاء
أنت من خصه الكريـــم بفضل ... لم تنله من قبلك الأتقيـــاء
و من المصطفى أتـــاك علوما ... عن جميع الورى لها إخفـاء
أنت مفتاح كل خير فمـــــا تبـ ... ـرز إلا عن بـــــابك الآلاء

مولده رضي الله عنه

لم تجز مدة من الدهـــــــر إلا ... اشعرت أهلها بك العرفـاء
أي يوم قد عم فيه ســــــرور ... و بدا للوجود فيه الضيـــاء
أي يوم فيه لعائشة الفخـــــــــ ... ـر الذي فضلت به و الهناء
هو يوم أتت بـــــــــأحمد فيه ... غبطتها بوضعه النفســـاء
فهنيئا لهـــــــا بأفضل قطب ... ما أتتنا بمثله حـــــــوراء

موضع مولده و نشأته

أي يوم قد لاح فيه التجـــــاني ... و على الكون فاح منه الشذاء
هو يوم " بعين ماضي " تدلـى ... فإستنارت من نوره الغبـراء
و بها قد نمى كل البدر يرقـــى ... في المعالي غذائه الإهتـــداء
قد أجاد القرآن حفظا صغيـــرًا ... عام سبعٍ و هكذا الأذكيـــاء
ثم من بعد العلوم تعاطـــــى ... فأقرت له بها العلمـــــاء
كل هذا من قبل حلم يـــــراه ... عجزت في ميدانه البلغـــاء

تشوق نفسه لمقامات الفتح

في زمان الصبـــــا تجلت إليه ... في المنام الفتوح و هي ابتداء
فسمت نفسه إلى الفتح حســـا ... بسلوك قد سنه الأوليـــــاء
فغدا يضرب البسيطة فحصًـــا ... عن رجال له بهم الإقتـــداء
فلفاسٍ أتى مرارًا فأضحـــت ... تستضيء الديار و الأنحـــاء
و تلمسان قد حبـــــاها بمكث ... و علومًا قد بث فيها الشفـــاء
و سليل المشري فيها لقد فـــا ... ز بلقياه فإعتلاه البهـــــاء
و لوزَّان زورة شرفتهـــــا ... حسدتها في نيلها الجـــوزاء
فتلاقى بقطبها الطيب الغـــو ... ثُ و بالشيخ كان منه إحتفـــاء

سفره إلى الحجاز

هاجه للحجاز شـــــــوق عظيم ... وحنين لانت له الصمـــــــاء
حيث فيه المقام حيث حـــــــراء ... حيث فيه العوالي حيث قبـــاء
فغدى سائرا ليحظـــــــى بحج ... في مقام ماجت به الدأمـــــاء
فأتى" تونس " فأحيى نفوســـــا ... بعلوم قد كان فيها الـــــدواء
و أتى سوسه فأيقظ قومـــــــا ... من سباتهم فعمهم الإهتـــداء
و أتى " مصر " دار شيخه محمـــو ... د و منه استفادت النجبـــاء
قد أفاض العلوم فيها بحـــــارا ... سبحت في أمواجهاالعلمـــاء
و أتى" الكعبة " الشريفة قـــدرًا ... فأتته المراتب العليـــــاء
ثم لأبن الهندي أحمد أهـــــدا ... ها سخاء و نعم هذا السخـــاء
هكذا الجود هكذا الجـــود فأكرم ... بكريم قد جل منه العطـــاء
عرفته بمشيه عرفـــــات ... و به اهتز للطواف الصفـــاء
ثم من بعد حجه أمّ أرضـــــًا ... في عواليها طيبة الفيحـــاء
يا لها بلدة لها يعظم الشـــو ... ق و من بعدها يطيب البكـــاء
ليس في الكون مثلها حيث فيهـــا ... طاب للمصطفى الرسول الثواء
و بدار التنزيل مرَّغ جسمـــــًا ... فعلته الأنوار و الأضـــواء
إذ كساه الحبيب حلة نـــــور ... ضاء منها الأوصال والأحشـاء
فتراه العيون كالشمس يبـــــدو ... تنجلي عن إشراقه الظلمـــاء

الفتح الأكبر

وبقصر الاسعاد سمغـــــــون أمسى ثاويا حيث حان فيه اللقاء
فأتاه الرسول فيه جهـــــــارا لاعتناء و حبذا الإغتنـــــــــاء
و له الورد عند ذاك حبـــــاه أي فضل حواه ذاك الحبـــــاء
بسط القول حيث يصغـــى إليه حبذا البسط حبذا الإصغـــــاء

مضمون المناجات

أنت مني إلى خير الرسل سليل كلما رمته علي الوفـــــــاء
ذر جميع الشيوخ و الزمه اني لك شيخ يزول عنك الغطـــــاء
يحمل الورد من أراد سلوكـــــا ما على من يريده الإختـلاء
ذكره مرتين في كل يوم ليس فيه على المريد عنـــــــــاء
هو بالفتح في السلوك كفيـــــل إن يدم منه كل يـــــوم أداء
و لتاليه ضعف أضعاف ما يعـ ـطي هجوع لا يعتريه غفاء
و هو لي صـاحب ضمنت إليه بي اتصالا ما دام منه الأداء
مثل أصحابي لا انقطـاع بذنب إن يتب منه فالرجوع صفاء

بعض ما يجب على المريد

و إحذر الترك يا مريد لـــورد فعلى تركه العقاب جـزاء
و تفرد به على كـــــل ورد فهو فرد و ما شركـــــاء
لا تخف إن رفضت عنه سـواه من شيوخ لهم عليك الولاء
كل ورد سواه يقبل نسخـــــا و هو للكل ناسخ مَحَّـــاء
فاترك الغير و اغتنمه لوصـل و لفتح يحق فيه الرجـــاء

ترقيه مقامات للولاية الكبر

و ترقى بعد الفتوح مقـــــــاما أمره الأمر و القضاء قضاء
و المقام المكتوم بعد ترقـــــــي أي فضل حواه ذاك الإرتقاء
ما علاه إلا مقام نبـــــــــــي لا يصح لمدعيه إدعـــــاء
أو صحاب رأى النبي حيـــــاة فضله لسر فيه عنا خفـــاء
و مقام الختام مازال محفـــــو ظًا إليه من دونه الكبـــراء
خص بالشيخ ما له من مســـامٍ كل دعوى من بعده فإفتـراء

بعض خصائصه

كل قطب من تحت قدميه عبـــد إذ عليهم له الولا و العـــــلاء
من وجود الدنيا إلى النفخ بحـــر لجميع الأنام منه استقـــــاء
شيخنا منبر من النور يرقـــى يوم حشر الورى و هم بصراء
ملك عند ذا ينادي ألا هـــــا ذا هو الختم ماله نظـــــراء
إنما كان في الخفـــــاء لرفق بنفوس لما لها الإعتـــــلاء

الرد على المنكرين

كل هذا الذي ذكرته نـــــــزر ... من معال له عليها استـــــــواء
إن تقولوا إذ لغير نبـــــــي ... قلت ذا جائز أيا أغبيـــــــاء
عجبا من أقوام سوء لهم فـــي ... شيخنا أحمد الختام عـــــــواء
شحنت بالظلام منهم قلـــوب ... ملؤها من علوه البغضـــــــاء
طمست منهم الســـــرائرحتى ... أنطروا شمسه و هم جهـــــلاء
لا يضر الإنكار للشمس نـــورا ... من سفيه في عينه الأقـــــذاء
أنكروا فضل ربنا المتعـــالي ... و له الفضل ماله احصـــــاء
خبرونا أهل الكتاب اربـــــي ... ليس في الملك فاعلا ما يشـــاء
إن ذهبتم إلـــــى المشيئة لله ... فإنكاركم عليكم وبـــــاء
أو إلى غيرها فأنتم أنـــــاس ... مشركون من بيننا سفهـــــاء
ما أراكم إلا نفيتـــــم عن الله ... اختيارا و النفي منكم هـــــراء
قد تعديتم للإله حـــــدودا ... حيث زاغت منكـــــم به الآراء
حسبكم نظرة لقـــــوم تعدوا ... فيه حـــــدا فامهم الانجلاء
فرضي الإله عنه فـــــان لم ... ترضوه فأنتم الأشقيـــــاء
ان جحدتم فضل الإلـــه عليه ... فله أمة به شرفـــــــاء
حسبكم بالجحـــود نار جحيم ... و عذاب تصلى به الأعضـــاء
فضله بينته كتب ثقـــــاة ... علماء أيمة صلحـــــاء
عضدتهم آيـــات حق من الله ... فتبيينهم له الشهـــــداء
ما عليكم حملت إلا لنصـــح ... ليس من شيمة النصوح الإعتداء
فالإمام المكتوم فضله بـــاد ... ليس يخفيه من حسود مـــراء
لا تقل فيه إنه ابن إلـــــهٍ ... أو نبي و ما سواه ثنـــــاء
جائز ليس بالمحـــال عن الله ... ولا واجب عليه العطـــــاء
يهب الفضل من يشاء و يمحـو ... و له الملك ماله شركـــــاء
واحد قادر علـــى كل شيء ... عالم يستحيل عنه الفنـــــاء
فاعل ما يريد و هو عنـــي ... لجميع الورى له انشـــــاء
جعل المصطفى رسولا إلى النا ... س جميعـــــا له عليه ولاء
خاتم الأنبياء و الكـــل منه ... يستقي و هو رحمة و شفـــاء
و الإمام المكتوم شيخـــي وليًا ... خاتم الأولياء منه ارتـــواء
صحبه فوق كل غوث كبيـــر ... بمقام له العلو ابتـــــداء
ذاك فضل من الإله فصـــدق ... يهب الفضل و العلا من يشـــاء

وفاته رضي الله عنه

عاش شيخي السمي عمرا مليا ملا الكون نوره و السنـــــاء
في (**ملي**)ما عـاشه الشيخ عدا فيه سر من النبي احتظـــــاء
ليوازي سن النبي بما عـــــــا ش من الفتح و السوي الغناء
و بفاس في عـــام لام و راء بعد ألف قد كان منه اللقـــاء
أظلم الكون حين غـــــاب سناه و لكل الأنام حق العـــــزاء

(ملي) أي في لفظ ملي
عمر الشيخ و هو ثمانين سنة
فالميم 40 و اللام 30 و الياء 10

ذكر أولاده و بعض خصائصهم

و بقى من أولاده قمـــــــــــراه بهما يزدهي الثرى و السمـــاء
و هما ذو الهدى الكبير المفـدى من له الباس ينتمي و السخـــاء
و الحبيب الرضى محمد و صفا من له من الهنا الإصطفـــــاء
ضمن المصطفى لكل علومـــــا بالعلي الذي له الكبريـــــــاء
و مقاما عن كل غـــوث تسامى يقتضيه من الكريم اجتبـــــاء
أي بـــــــــدر منهم تبين إلا نال ما لا تناله الأوليـــــــاء
من فيوض الأسرار من حضرة الله اجتباء لهم كذا الإثـــــراء
و بلوغ الكمال من غير شـــرط عن أبيهم قد صحت الأنبـــاء
كل من كان خادما لعـــــلاهم يدخلون الجنان من حيث شاءوا
لا حساب و لا عقاب عليهـــم لا يحيق الردى بهم و البـــلاء
يا بدورا على الأنام تعـــــالت أين منها النجوم أين الذكـــاء
آل بيت الختام أنتم شمـــوس في سماء العلا بكم الإهتـــداء
و لكم في الرسول أصل زكـــي و لكم فيه اسوة حسنـــــــاء
من أتى حيكم يريد وصـــــولا زال عنه العنا و زال الشقـــاء
عطفة منكم لصب قتيـــــــل من جفاكم في قلبه البرحـــاء
جاء يهوى من بعد أرض وصالا كيف يشقى و أنتم الكرمـــاء

حاش و الله أن يخيب نزيـــــل ... في حماكم و أنتم الفضـــــلاء
يا كرام الورى يا أهل المزايـــا ... حق لي بالولاء فيكم رجـــــاء
جئتكم و الفؤاد مني عليـــــل ... علني ينتفي علي الشقـــــاء
ليس لي وسيلة سواكم لربـــي ... يا كراما لكم علينـــــا الالاء
رب داوم لهم أجلَّ سلام مـــا ... هما للأنام منهم حيـــــاء
و ارض عنهم و عن خديم محب ... يرتجي أن تنيله ما يشـــــاء
و جميع الأحباب في كل أرض ... و زمان ما دامت الغبـــراء
صل يا رب ثم سلم علـــى من ... نوره يستضيء منه الفضـــاء
و على الآل و الصحابة جمعًـــا ... ما دجى الليل و اعتراه الضياء
أو تلا " الشافعي محمد " مدحًا ... كيف تعلو علوك الأوليـــاء.

قال ناظمها عفا الله عنه

كان الفراغ من نظمها

عشية يوم الإثنين من أوائل شهر رجب الأصب

سنة 1329 هجريه

على صاحبها أفضل الصلاة و أزكى التحيه.